





تحقيق

أبو عبد الله
محمد بن سعيد
اليوسف

للعلامة شهاب الدين أبوالثناء
محمود بن عبدالله الألوسي

رحمه الله تعالى ١٢١٧ هـ - ١٢٧٠ هـ



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد..

فإن من مقتضيات رحمة الله تعالى وحكمته وربوبيته أن أرسل إلى عباده من أنفسهم يدعونهم إلى توحيده وعبادته وهي الغاية التي خلقوا لأجلها كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

ثم إنه قد جرى من سنته تعالى وفقاً لحكمة عظيمة أن الرسل يُبتلون ويمتحنون ثم تكون لهم العاقبة كما تواتر ذلك من أخبارهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢].

ولقد لاقى نبينا الأكرم ﷺ من ذلك النصيب الأوفر من أذى قومه حتى أن الله تعالى كان يسرّي عنه بتذكيره بما أصاب إخوانه من الرسل قبله كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤]، مع ما أحاطه به من حفظه وحمايته من كيد أعدائه حتى أعلا أمره ونصره نصراً ما نصر رسولاً من قبله مثله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولأن سنة الله تعالى جارية لا مبدل لها فقد تطاول من بعد ذلك قوم بكلامهم الذميم متجاسرين به على شخصه ﷺ أو عائبين به بعض أفعاله، لكن قد قيض الله تعالى -كما هو الشأن في كل عصر- من أهل العلم من تصدى لهم وردّ طعونهم تلك، وما زالت الأمة بكل أجيالها كذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩].

وهذه الرسالة تمثل صورة من صور الدفاع عن النبي ﷺ الواجب على كل مسلم، أجاب فيها العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله الآلوسي رحمه الله تعالى على أسئلة وجهها إليه أحد أدباء النصارى المتفلسفين وهو المدعو فرسنل بك[1] ويأتي ذكرها إن شاء الله.

ومخطوطة هذه الرسالة تقع ضمن مجموعة تحوي ستاً وعشرين رسالة، وهذه هي الرسالة الخامسة فيها، وتقع في أربع صفحات كتبت بخط واضح وقد أغفل اسم الناسخ، والمجموعة من مصورات مكتبة المدرسة القادرية ببغداد برقم (س ٨٠٧/ ف١٤٤٢-مجاميع).

وصاحب الرسالة هو السيد أبوالثناء شهاب الدين محمود بن عبدالله الآلوسي نسبة إلى مدينة آلوس -وهي قرية على الفرات يقال إن سابور ذا الأكتاف بناها-، وهو

(١) لم أجد له ترجمة، لكن جاء في هامش المخطوطة، في أولها التعريف به بأنه رئيس المدرسين في باريس.

مُنشيء العائلة الآلوسية في بغداد وهي عائلة كريمة ذات منزلة في الدين والعلم والأدب.

ولد سنة (١٢١٧هـ) في بغداد، وكان عالماً باختلاف المذاهب مطلعاً على الملل والنحل، شافعي المذهب إلا أنه في كثير من المسائل كان يقلد الإمام أبا حنيفة وأخذ يميل في آخر أيامه إلى الاجتهاد كأمثاله من العلماء النقّاد. توفي رحمه الله سنة (١٢٧٠هـ) ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي وعلى يسار الداخل إلى المقبرة وهو قائم لحد الآن.

له مؤلفات عديدة ذات الأثر الطيب والنهج السليم، من أجلّها كتاب التفسير المسمى «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» وقد طبع مرات عديدة، ورسالتنا هذه ثابتة عن المصنف، فقد جاء ذكرها أيضاً في كتاب ولده العلامة نعمان خير الدين الآلوسي رحمه الله المسمى «الجواب الفسيح لما لفّقه عبد المسيح» (١/ ١٥٧) فقال: (وكان رجل من مشهوري مدرسيهم يدعى فرسنل كان ورد بغداد سنة ألف ومائتين وتسع وستين، وسأل من الشيخ الإمام الوالد عليه الرحمة أسئلة من جملتها ما كان من تزوجه عليه الصلاة والسلام النساء، فأجابه عليه الرحمة..) فذكر طرفاً من هذه الرسالة، وواضح من التاريخ المذكور هنا أن المصنف أجاب عن هذه الأسئلة قبل وفاته بسنة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

نسأل الله العظيم أن ينفع بها وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى وخير مسؤول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم.

سأل فرسنل أسئلة ركيكة جناب المرحوم[1] العلامة شهاب الدين السيد محمود أفندي

فأجابه ما نصه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اقتضت حكمته إرسال المرسلين مبشرين ومنذرين، فلم تزل الرسل تترى لمصلحة الأولى والأخرى.

نجوم سماءٍ كلما انقضّ كوكب ... بدا كوكب تأوي إليه كواكب

حتى انتهت سلسلة أولئك الأكابر بإرسال خاتمهم العاقب الحاشر[2] فكان واسطة القلادة وإنسان عين أولئك السادة، اللهم فَصَلّ عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وعلى آل وأصحاب كل منهم أجمعين، وبعد..

فلا يخفى أن رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام ثابتة بنحو ما ثبتت به رسالة موسى وعيسى وسائر الرسل الكرام[3]. وليس ذلك إلا المعجزة ودعواه عليه

---

(١) هذا تعبير غير مرضي شرعاً كما نبّه عليه بعض أهل العلم، لأن فيه تألّياً على الله تعالى، بل الأولى التعبير بلفظ الدعاء فيقال (رحمه الله) بعد ذكر الاسم.

(٢) أخرج البخاري (٤/ ٢٢٥)، ومسلم (٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لي خمسة أسماء: أنا محمّد. وأنا أحمد. وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي. وأنا العاقب [الذي ليس بعده نبي]).

(٣) بل إن الدلائل الدالة على صدق محمّد ﷺ أعظم وأكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى عليهما السلام، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الجواب الصحيح) (١/ ١٦٧)، ووضّح ذلك أيضاً بقوله (٣/ ٢٦٨): (بل نحن نبين أن التصديق بنبوته أولى من التصديق بنبوة غيره لأن كل ما يستدل به على نبوة غيره محمّد ﷺ أحق بجنس ذلك الدليل من غيره، وما يعارض به نبوة نبي فالجواب عن محمّد ﷺ =

الصلاة والسلام النبوة[1].

وظهور المعجزة على يده أمر متواتر كم نقله كابر عن كابر[2]. على أن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر وأظهر ولا ينكر ذلك إلا من عاند واستكبر، وتحقق ذلك أمر مفروغ منه فلنضرب صفحاً عنه.

أولى من الجواب عن غيره، فهو مقدم فيما يدل على النبوة وفيما يجاب به عن المعارضة وهو أكمل في ذلك) أ.هـ.

هذا وكنا قد نشرنا بحثاً بعنوان (إتحاف الأخوة بدلائل النبوة) في مجلة الحكمة، وقد فصلنا فيه هذا الأمر من أربعة أمور: المعجزات، والبشارات، وما يأتي به النبي من الشرائع، وتأييد الله تعالى له، بما لا يمكن نقله ولا اختصاره هنا فحبذا لو يراجع لمزيد التفصيل.

(١) قد بين شيخ الإسلام في (شرح العقيدة الأصفهانية) (ص٧٧-٧٨) أن دليل النبوة غير محصور بما يسمى بالمعجزة وإن كانت هي لا ريب في كونها دليلاً صحيحاً لكن الدليل غير محصور فيها، وكان قد بين أيضاً أن هذا من قصور منهج أهل الكلام فأصبح كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، ثم فسّروا المعجزات بخوارق العادات إذا اقترنت بدعوى النبوة والتحدي، وكل هذا من قصور منهج أهل الكلام في تقرير النبوات كما هو قصور منهجهم في جميع أصول الدين، وقد فصلنا ذلك في بحثنا المشار إليه من عدة أوجه، هذا أمر.

وأمر آخر أن هذا اللفظ (المعجزة) لم يرد في الكتاب ولا في السنة، بل الذي ورد أن الله تعالى سمّاها بينات أو آيات أو براهين، أما لفظ المعجزة ففيه قصور كما قال شيخ الإسلام في (الجواب الصحيح) (٤/ ٦٧-٧٠) فإنه يدل على مجرد عجز غيره عنه لا على كونه في نفسه آية ودليلاً، فضلاً عن تفاوت الناس فيما يعجزون عنه فإن مثل أفعال السحرة والكهان يعجز عنها خلق كثير وليست هي من جنس ما أيّد الله به أنبياءه ورسله.

(٢) بل إن آياته ﷺ قد استوعبت جميع الآيات الفعلية والخبرية كما قال شيخ الإسلام في (الجواب الصحيح) (٤/ ١٣٣)، ثم وضّح ذلك في فصول طويلة بالنسبة لأخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل ثم بالنسبة لآياته الفعلية، وقد قسّمها إلى ثمانية أنواع: ما كان منها في العالم العلوي، ثم ما كان دون ذلك في الجو، ثم ما كان من تصرفه في الحيوان (الإنس والجن والبهائم)، ثم ما كان من تصرفه بالماء والطعام والثمار، ثم ما كان من تأثيره في الأحجار وتصرفه بها، ثم تأييد الله له بملائكته، ثم كفاية الله له أعداءه، وآخر ما ذكره من آياته إجابة دعوته سواء كانت دعوة في أمور معتادة أو خارقة للعادة، انظر ذلك في (الجواب الصحيح) (٤/ ١٣٣-٢٢٧)، ونحوه باختصار في (المجموع) (١١/ ٣١٥-٣١٧)، وكان قد سرد قبل ذلك (١١/ ٢٧٥) عدداً من معجزاته ﷺ.

وحيث أن السؤال عن ثلاثة أمور:

أحدها: ما كان من تزوجه عليه الصلاة والسلام النساء.

والثاني: ما كان من قصة تزوجه عليه الصلاة والسلام امرأة مولاه زيد رضي الله تعالى عنه.

والثالث: أدلة نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم من التوراة وغيرها من كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فلنذكر الجواب عن ذلك سالكين أقصر المسالك، فنقول:

[جواب السؤال الأول][1]

أما أمر التزوج والنكاح فهو عليه الصلاة والسلام ليس بدعاً فيه بين الأنبياء والمرسلين فمعظمهم قد تزوج، وما امتنع عن النكاح ولا تحرّج، وليس ذلك مما ينافي النبوة بوجه من الوجوه، إذ هو في كمال البشرية، ولما كانت البشرية في النبي أكمل كانت عبادته أفضل.

وسيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان جانب مَلِكيَّته أقوى من جانب بشريّته، إذ هو عندنا مخلوق من ماء واحد وكان بارد المزاج فلذا لم يَمل إلى النساء.

وأخوه نبينا محمّد عليه الصلاة والسلام كان كامل المَلَكيَّة كما كان كامل البشرية، يشهد للثاني كثرة نكاحه عليه الصلاة والسلام فقد صحّ أنه يطوف على نسائه في الليلة الواحدة[2].

---

(١) هذه العناوين بين معكوفين زيادة على الأصل للتوضيح.

(٢) كما ثبت في (صحيح البخاري) (١/ ٧٦)، و(صحيح مسلم) (٣٠٩) عن أنس ﷺ قال: (كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهنّ إحدى عشرة)، قيل لأنس: أوكان يطيقه، قال: (كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين)، هذا لفظ البخاري. ولفظ مسلم: (أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد).

ويشهد للأول ما صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تمضي الأيام والليالي لا يأكل شيئاً وقوته قوته[١]، ومضى عليه حين من الدهر وليس له إلا زوجة واحدة[٢]، وكان ينام مع بعض زوجاته في فراش واحد وهي ذات عذر فلا يقرب منها ما حرّم الله تعالى عليه[٣]، إلى أمور أخر تشهد بكمال مَلَكيّته.

والعجب من النصارى حيث يقولون إن عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام إله كامل وبشر كامل مع زعمهم أن عدم ميله للنكاح مما ميّزه على غيره من إخوانه. وادعاء أنه[٤] عليه السلام كانت له شهوة قوية للنكاح لكنه منع نفسه من دون إثباتها خرط القتاد. وبتقدير التسليم؛ وجود تلك الشهوة ينافي قوة التقدس بزعمهم.

والحاصل أن قوة الشهوة كمال في البشرية ولا ينافي النبوة أصلاً[٥].

---

(١) وذلك من خصائصه ﷺ، ويظهر ذلك في مثل مواصلته الصوم مع نهيه الصحابة عنه.

(٢) وهي خديجة رضي الله عنها تزوجها رسول الله ﷺ وله خمس وعشرون سنة ولم يتزوج عليها حتى ماتت وذلك قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين كما في سيرة ابن إسحاق وغيره، أي أنه ﷺ مكث بزوجة واحدة حتى بلغ الخمسين من العمر أو جاوزها.

(٣) أخرج البخاري (١/ ٨٣)، ومسلم (٢/ ٢٩٣)، وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتّزر في فور حيضتها ثم يباشرها، قالت: وأيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه)، قلت: فقولها الأخير يشهد لما قاله المصنف رحمه الله.

(٤) أي عيسى بن مريم.

(٥) أجمل المصنف رحمه الله الجواب، ونحن نفصله من عدة أوجه إتماماً للفائدة، فنقول:

الوجه الأول: أن النصارى يقرون في كتبهم تزوج الأنبياء السابقين، وهاك إشارة إلى مواضع ذلك بخصوص أحد عشر نبياً:

١- نوح عليه السلام تزوج بامرأة وأنجبت له سام وحام ويافث (التكوين ٦/ ٩-١١) (٦/ ١٨) بل جاء في (سفر التكوين ٩/ ١) (في النسخة المطبوعة عام ٩٤) ما نصه: «وبارك الله نوحاً وأبناءه قائلاً لهم أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض».

٢-لوط عليه السلام (التكوين ١٩/ ١٥).

=

٣- إبراهيم عليه السلام (التكوين ١٦/ ٢-٥. ١١/ ٢٩. ٢٥/ ١-٣، ٢٥/ ٦).
٤- إسماعيل عليه السلام (التكوين ٢١/ ٢١).
٥- إسحاق عليه السلام (التكوين ٢٤/ ٦٧).
٦- يعقوب عليه السلام (التكوين ٢٩/ ٢٣. ٢٩/ ٢٨. ٣٠/ ٣-٦. ٣٠/ ٩-١١) وقد ذكر هناك أن له أربعة نسوة.
٧- يوسف عليه السلام (التكوين ٤١/ ٥٠).
٨- موسى عليه السلام (الخروج ٢/ ٢١-٢٣).
٩- هارون عليه السلام (الخروج ٦/ ٢٣).
١٠- داود عليه السلام تزوج بسبع نسوة، انظر (صموئيل الأول ١٨/ ٢٧) و(صموئيل الثاني ٣/ ٢-٦).
١١- سليمان عليه السلام تزوج من سبعمئة زوجة، انظر (الملوك الأول ١١/ ٢-٤).

الوجه الثاني: إنهم ليس عندهم في كتابهم المقدس من أوله إلى آخره نص واحد يحرم الزواج على الأنبياء، قال العلامة نعمان الآلوسي في (الجواب الفسيح) (١/ ١٥٩): (ولا يفهم من التوراة ولا إشارة حرمة التزوج بأزيد من امرأة واحدة، ولو كان ذلك حراماً ولا سيما على الأنبياء لصرح به موسى عليه السلام كما صرح بحرمة غيره بل الذي يفهم منها ومن فعل الأنبياء عليهم السلام جوازه كما لا يخفى على كل ذي عقل) أ.هـ.

الوجه الثالث: إن ذلك يتيح تبليغ الأحكام التي يُستحيى أن يُسأل عنها كالأحكام المتعلقة بالحيض وما شابه والأحكام المتعلقة بالمرأة مع زوجها، ومعلوم أن كثرة الجهات المبلّغة تفيد الاطلاع على اختلاف الأسباب ويُبنى على ذلك أحكام شرعية تفصيلية دقيقة، كما أشار إلى هذا نعمان الآلوسي رحمه الله في (الجواب الفسيح) (١/ ١٦٢).

الوجه الرابع: أنا لو أخذنا الصفات البشرية دون الملكية فمعلوم أن الشهوة والنكاح كمال فيها، وهذا معلوم بالضرورة؛ وحينئذٍ فالمسيح عليه السلام إن كانت له هذه الشهوة ومنع نفسه منها فقد منع نفسه من كمال البشرية وهذا يناقض زعمهم فيه أنه بشر كامل، وإن لم تكن له شهوة فهو مناقض لذلك أيضاً.

الوجه الخامس: إنهم يذكرون في كتابهم أن الأنبياء عليهم السلام تصدر منهم في نبوتهم الفواحش والأفعال القبيحة وأنها تجتمع مع النبوة ولا تتعارض معها بزعمهم فكيف يمنعون اجتماع النبوة مع كثرة التزوج بالنساء في حقه ﷺ؟ ونحن لا نقرّهم على ما زعموا نسبته إلى الأنبياء عليهم السلام من تلك القبائح ولكن أردنا على سبيل الإلزام محاجّتهم بذلك فها هم يذكرون في (سفر التكوين ٩/ ٢٠-٢٥) عن نوح -عليه السلام- إنه شرب الخمر فسكر وتعرّى داخل خيمته حتى شاهد ابنه حام عريه، وهذا لوط -عليه السلام- يزعمون عنه أنه قد زنى بابنتيه (التكوين ١٩/ ٣٠)، وكذا جاء في (سفر صموئيل الثاني ١١/ ٢-٦) أن داود -عليه السلام- قد زنى بامرأة أوريا الحِثّي. ونحن قطعاً لا نعتقد بأي شيء من هذا بل هو عندنا كفر وضلال مبين ولكن ذكرناه على وجه الإلزام ليس إلاّ.

[جواب السؤال الثاني]

والجواب عن أمر نكاح امرأة زيد[1] قد تكفل الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا..﴾ الآية[2] [الأحزاب:٣٧]. وكونه عليه الصلاة والسلام أمر زيداً بطلاقها كما ذكر السائل مخالف لنص القرآن من أنه عليه الصلاة والسلام أمر زيداً بإمساكها[3].

وبالجملة قد قضى المفسرون الوطر من الكلام في تلك القصة ولم يذهب منهم ولا من غيرهم إلى ما ذكره السائل من أمره عليه الصلاة والسلام بطلاقها، سبحانك هذا بهتان عظيم[4].

---

(١) وهي زينب بنت جحش رضي الله عنها، ابنة عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبدالمطلب.

(٢) في الأصل (ولما قضى) وهو خطأ، وتمام الآية: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ وسيأتي بيان معناها.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٧]، وهم لا يمكنهم رد الآية وعدم قبولها فإن أصل القصة لم يعرفوه إلا من الآيات مع ما جاء في تفسيرها من السيرة.

(٤) مجمل الجواب يتعلق بتفسير هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾. انظر (تفسير ابن كثير) (٣/ ٤٩٠-٤٩٢)، وأصل ذلك وسببه أن زينب رضي الله عنها كانت تفخر على زيد رضي الله عنها لنسبها، فكان يشكوها إلى النبي ﷺ والنبي ﷺ يأمره بإمساكها. قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في (أضواء البيان) (٦/ ٥٨٢-٥٨٣): (التحقيق إن شاء الله في هذه المسألة هو ما ذكرنا أن القرآن دلّ عليه وهو أن الله أعلم نبيه ﷺ بأن زيداً يطلّق زينب وأنه يزوجها إياه ﷺ وهي في ذلك الوقت تحت زيد فلما شكاها زيد إليه ﷺ قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله. فعاتبه الله على قوله أمسك عليك زوجك بعد علمه أنها ستصير زوجته هو ﷺ وخشي مقالة الناس أن يقولوا لو أظهر ما علم من تزويجه إياها: أنه يريد تزويج زوجة ابنه في الوقت الذي هي فيه في عصمة زيد. والدليل على هذا أمران:

الأول: هو ما قدمنا من أن الله جل وعلا قال: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهذا الذي أبداه الله جل وعلا هو زواجها إياها في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ ولم يبد جل وعلا =

والجواب عن الثالث أن التوراة ملئى مما يدل علـى نبوتـه عليـه الصـلاة والسـلام وكذا كتب الأنبياء عليهم السلام قبله[1].

الثاني: أن الله جل وعلا صرّح بأنه هو الذي زوجه إياها، وأن الحكمة الإلهية في ذلك التزويج هي قطع تحريم أزواج الأدعياء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ...﴾ الآية، فقوله ﴿لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ تعليل صريح لتزويجه إياها لما ذكرنا. وكون الله هو الذي زوجه إياها لهذه الحكمة العظيمة صريح في أن سـبب زواجـه إياهـا ليس هو محبته لها التي كانت سبباً في طلاق زيد لها كما زعموا، ويوضحه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّـا قَضَـى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً..﴾ الآية لأنه يدل على أن زيداً قضى وطره منهـا ولم تبـق لـه بهـا حاجـة فطلقهـا باختيـاره. والعلم عند الله تعالى) انتهى كلامه رحمه الله.

وهذا القول ذكر نحوه المصنف أيضـاً في (روح المعـاني) (٢٢/ ٢٤)، وابنـه العلامـة نعمـان الآلوسـي في (الجواب الفسيح) (١/ ١٦٠)، وباختصار عنـد الشـيخ رحمـة الله الهنـدي رحمـه الله في (إظهـار الحـق) (٢/ ٣١٦-٣١٧).

ومما ينبغي لنا الإشارة إليه أن هذه الآية نفسها من دلائل صدق محمّد ﷺ في نبوته وأن القرآن الذي أتى به من عند الله لا من نفسه، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (لو كان محمّد ﷺ كاتماً شيئاً ممـا أنـزل عليـه لكتم هذه الآية..). أخرجه مسلم (١٧٧/ ٢٨٨)، ونحوه من قول أنس عند البخاري (٧٤٢٠).

قال العلامة نعمان الآلوسي في (الجواب الفسيح) (١/ ١٦٠): (إن هذه الآية من الأدلة التي تُرغـم أنـف المخالف على أن القرآن كلام الله سبحانه، ولو كان النبي عليه الصلاة والسلام تقوّله لما تقوّل هذه الآيـة الكريمة فهي من الأدلة القاطعة عند كل ذي فهم على صحـة مسـألة امـرأة زيـد كمـا قصّهـا الله تعـالى علينا)أ.هـ.

فبان مما سبق الجواب عن هذا السؤال وأن الذي أخفاه النبي ﷺ في نفسـه هـو مـا أخـبره الله تعـالى مـن زواجه من زينب، وما سوى هذا القول مثل كونه أحب زينباً ووقعت في نفسـه واستحسـانه ونحـو ذلـك فهي أقوال باطلة يجب صيانة النبي ﷺ عنها جميعاً، والله الموفق.

(١) لكن ينبغي لنا أن نعلم في هذا الباب أمرين:

الأمر الأول: أنه معلوم باتفاق أهل الملل أنه ليس من شرط نبوة كل نبي أن يبشر بـه مـن قبلـه كمـا قـال شيخ الإسلام في (الجـواب الصحيـح) (٣/ ٢٧٧)، وزاد: (إذ النبـوة ثابتـة بـدون ذلـك لا سيما ونـوح وإبراهيم وغيرهما لم يعلم أنه بشر بهما من قبلهما، وكذا عامة الأنبيـاء الذيـن قـاموا في بـني إسـرائيل لم يتقدم لهم بشارات إذ كانوا لم يبعثوا بشريعة ناسخة كداود وأشعياء وغيرهما. وإنما قد يدّعى هـذا فيمـن جاء بنسخ بعض شروع مَنْ قبله كما جاء المسيح بنسخ بعض أحكام التوراة وكذلك محمّد ﷺ ففـي مثـل =

ففي السفر الأول من التوراة إن ابراهيم عليه السلام لما نجى من نار النمروذ تجلّى

هذا يتنازع المتنازعون من علماء المسلمين وغيرهم هل يشترط أن يكون قد أخبر بذلك قبل النسخ؟ على قولين.

وحينئذ فنقول: فالمسلمون يقولون: شريعة التوراة والإنجيل لم تشرع شرعاً مطلقاً بل مقيداً إلى أن يأتي محمّد ﷺ، وهذا مثل الحكم المؤقت بغاية لا يعلم متى يكون، كقوله تعالى: ﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ ومثل هذا جائز باتفاق أهل الملل) أ.هـ.

ثم انتهى أخيراً إلى قوله رحمه الله (٣/ ٢٧٨): (فيثبت نبوة المسيح ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما لا تتوقف على جواز النسخ المتنازع فيه فإن ذلك إنما يكون في الحكم المطلق، والشرائع المتقدمة لم تشرع مطلقاً)أ.هـ.

الأمر الثاني: في ذكر الطرق أو الأوجه التي تحتّم ذكره ﷺ والتبشير به في الكتب المتقدمة، وقد فصلنا ذلك في بحثنا المشار إليه من ثلاثة أوجه مستخلصة من الفصل الطويل الذي عقده لهذا شيخ الإسلام في (الجواب الصحيح) (٣/ ٢٨٢-٢٩٩) **ويمكن إيجازه فيما يأتي:**

الطريقة الأولى: ما موجود حقيقة في كتبهم المتداولة إلى اليوم خصوصاً ما استخرج من كتبهم في عصرنا هذا لأن الاعتماد جارٍ فيها على ما هو منتشر بينهم الآن، لأننا لا نجد بعضاً مما ذكره علماؤنا الأقدمون مما نقلوه عن كتب أهل الكتاب بشأن هذه البشارات مما يدل على أن يد التبديل والتحريف أسقطت كثيراً من ذلك رغبة في كتمانه وتضييعه، والله أعلم.

الطريقة الثانية: نفس إخباره بذلك في القرآن في غير موضع واستشهاده بأهل الكتاب على ذلك، ولو لم يكن مكتوباً عندهم لكان في إقدامه عليه ما يظهر كذبه، لأنهم حاضرون فيمكنهم أن يقولوا لو لم يكن مذكوراً عندهم جلسنا نشهد له، فهذا لا يتصور أن يقدم عليه عاقل فضلاً عن أعقل الخلق وأحكمهم ﷺ.

الطريقة الثالثة: أن ظهور دين محمّد ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها أعظم حادث حدث في الأرض وظهرت أمته على اليهود والنصارى مدة طويلة من الزمن، ومعلوم أن المدعي للنبوة سواء كان صادقاً أو كاذباً لا بد أن تخبر به الأنبياء فإنه إذا كان كاذباً -كما يزعمون- لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال الذي تواطأ الأنبياء جميعهم على ذكره والتحذير منه، وإن كان صادقاً فالبشارة للإيمان به من أولى ما يبشر به الأنبياء، فكان بالضرورة على كل تقدير وجوب ذكره في الكتب. ومعلوم أن أهل الكتاب ومن نقل عنهم إما أن يقولوا هو غير موجود عندنا أو يقولوا إنه موجود بالمدح والثناء، أي أنه لا يمكن لأحد منهم أو من غيرهم أن ينقل عن الكتب المتقدمة ذكره فيها بالذم والتحذير، إذ لو كان ذلك موجوداً - حتى على فرض التحريف- لكان هذا من أعظم ما يحتجون به عليه في حياته وعلى أمته بعد مماته، فلما لم يكن كذلك مع قيام الدليل على ضرورة أن تذكره الأنبياء كما تقدم علم أنهم أخبروا بكونه نبياً صادقاً كما شاع واستفاض.

فتبين بهذه الطرق حتمية أن تبشر به الأنبياء ﷺ أجمعين.

ففي السفر الأول من التوراة إن ابراهيم عليه السلام لما نجى من نار النمروذ تجلّى له ربه قائلاً: (قوم هت هلاخ بارض لادكه وارحافي كا امسايا)، وظن أن الوالد يكون من إسحاق فقال الله تعالى: (لى لى إسحق ساري سحا درع)[1]. وفيها أيضاً أن الله تعالى قال لهاجر أم إسماعيل عليه السلام: (سي هاجر وهاجر بقي امشا مادح لولي لفي دل اسمي مايو)[2].

---

(١) نقل المصنف هذا النص باللغة العبرية -فيما يبدو-، ولم نجد ذكراً لنار النمروذ ولا لما أشار إليه في سفر التكوين، فالله أعلم.

(٢) هكذا ساقه أيضاً بالعبرية، وقد جاء في النسخة المعرّبة (سفر التكوين ١٦/ ١٠-١٣): (وقال لها ملاك الرب: لأكثرن نسلك فلا يعود يُمضى. وأضاف ملاك الرب: هوذا أنت حامل وستلدين ابناً تدعينه إسماعيل لأن الرب قد سمع صوت شقائك ويكون إنساناً وحشياً يعادي الجميع والجميع يعادونه ويعيش مستوحشاً متحدياً كل أخوته). وفيه أيضاً (٢١/ ١٨): (قومي واحملي الصبي وتشبثي به لأنني سأجعله أمة عظيمة) أ.هـ.

وظاهر من قوله (متحدياً كل إخوته) أن له سلطاناً عليهم بالقوة والغلبة. قال شيخ الإسلام في (الجواب الصحيح) (٣/ ٣١٣-٣١٤): (قال المستخرجون لهذه البشارة: معلوم أن يد بني إسماعيل قبل مبعث محمّد ﷺ لم تكن فوق أيدي بني إسحاق، بل كان في بني إسحاق النبوة والكتاب وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب فلم يكن لبني إسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بعث موسى وكانوا مع موسى أعز أهل الأرض لم يكن لأحد عليهم يد، ثم مع يوشع بعده إلى زمن داود وملك سليمان الذي لم يؤت أحد مثله وسلط عليهم بعد ذلك بختنصر فلم يكن لبني إسماعيل عليهم أمر. ثم بُعث المسيح وخُرب بيت المقدس الخراب الثاني حيث أفسدوا في الأرض مرتين، ومن حينئذٍ زال ملكهم وقطعهم الله في الأرض أمماً وكانت تحت حكم الروم والفرس والقبط، ولم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم، فلم يكن لولد إسماعيل سلطان على أحد من الأمم لا أهل الكتاب ولا الأميين فلم يكن يد ولد اسماعيل فوق الجميع حتى بعث الله محمداً ﷺ الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل حيث قالا: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فلما بعث صارت يد ولد اسماعيل فوق الجميع فلم يكن في الأرض سلطان أعزّ من سلطانهم وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين) أ.هـ. ثم أجاب شيخ الإسلام بعد هذا على احتمالية أن يُعترض بأن هذه بشارة بملكه وظهوره لا بنبوته بما محصله أن بيّن بأن الأمر لو كان كذلك لما أصبح الإخبار بهذا بشارة، ولا لفرح هاجر ولا إبراهيم به كما هو مقتضى سوق ذلك النص، وإنما تكون بشارة تسرّهما إذا كان بعدل وكان =

وفيها أيضاً في الفصل العاشر من السفر الخامس: (قال موسى: أقبل الله من سيناء وتجلّى من ساعير وتجلّى من فاران معه الربوات الأطهار عن يمينه)[1]، وذلك أن سينا جبل التجلي لموسى عليه السلام وساعير جبل الخليل عليه السلام بالشام وكان عيسى عليه السلام يتعبد فيه وفاران جبل بني هاشم الذي كان نبينا عليه الصلاة والسلام يتعبد فيه[2]. وفيها أيضاً في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس[3]: (يا

علوه محموداً، وذلك من مدعي النبوة لا يكون إلا وهو صادق. وقال قبل ذلك أيضاً (٣/ ٣١١): (ومجرد كون الرجل له نسل وعقب لا يعظم به إلا إذا كان في الذرية مؤمنون مطيعون لله، وكذلك قوله «أجعله أمة عظيمة» إن كانت تلك الأمة كافرة لم تكن عظيمة بل كان يكون أباً لأمة كافرة، فعلم أن هذه الأمة العظيمة كانوا مؤمنين) أ.هـ. ونحو قول شيخ الإسلام هذا ذكره ولد المصنف نعمان الآلوسي في (الجواب الفسيح) (١/ ٧٨) فليراجع إن أمكن.

(١) لم نجد هذا النص في الموضع المشار إليه لكن في موضع آخر هو الآتي في الهامش القادم.

(٢) جاء في سفر التثنية (٣٣/ ١-٢): (وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته فقال: أقبل الرب من سيناء وأشرف عليهم عن ساعير وتألق في جبل فاران جاء محاطاً بعشرات الألوف من الملائكة وعن يمينه بومض برق عليهم) أ.هـ.

وفاران مسكن اسماعيل عليه السلام بنص التوراة، كما في سفر التكوين (٢١/ ١٩-٢١) عن هاجر: (فذهبت وملأت القربة وسقت الصبي وكان الله مع الصبي فكبر وسكن في صحراء فاران) أ.هـ.

قال شيخ الإسلام في (الجواب الصحيح) (٣/ ٣٠٥): (فهذا خبر الله في التوراة أن اسماعيل رُبّي وسكن في برية فاران بعد أن كاد يموت من العطش وأن الله سقاه من بئر ماء. وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم أن اسماعيل إنما رُبّي بمكة، وهو وأبوه إبراهيم بنيا البيت، فعلم أن أرض مكة من فاران) أ.هـ.

فهذه البشارة ظاهرة في نبينا ﷺ، ولا يمكن أن يراد بها اسماعيل عليه السلام نفسه لأنه لا معنى لتخصيصه بذلك في التوراة دون أسحاق، فضلاً عن ذلك لو كان لزم منه أن التألق والتجلي قبل المجيء والإشراق لأن إسماعيل قبل موسى وعيسى، ومعلوم أن المجيء والإشراق سابق على التألق لأن هذا الثاني فيه زيادة معنى، خصوصاً أن النص جاء في بعض النسخ المعرّبة بلفظ (واستعلن من جبال فاران) كما هي النسخة التي نقل عنها شيخ الإسلام في (الجواب الصحيح) (٣/ ٣٠٠)، وهي كذلك في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ التي اعتمد عليها رحمة الله الهندي في (إظهار الحق) (٢/ ٢١٢) وقال شيخ الإسلام: (٣/ ٣٠١-٣٠٢): (ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمّد ﷺ، وهو سبحانه ذكر هذا بالتوراة على الترتيب الزماني فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن، وهذه الكتب نور الله وهداه. وقال في الأول: جاء أو ظهر، وفي الثاني: أشرق، وفي الثالث: استعلن، وكان مجيء التوراة مثل =

موسى إني سأقيم لبني اسرائيل من أخوتهم مثلك أجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما آمره به والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه).

فقوله تعالى (من إخوتهم) يشير إلى أن المبعوث من أولاد اسماعيل عليه السلام، وإلا لقيل: منهم، وقوله سبحانه (مثلك) يشير إلى أنه ذو شريعة مستقلة، وقوله (في فيه) إشارة إلى أنه أميّ لا يقرأ، ولم يدع أحد بهذه الصفات بعد موسى غير نبينا عليه الصلاة والسلام[1].

طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس ازداد به النور والهدى، وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ولهذا قال: واستعلن من جبال فاران: فإن النبي ﷺ ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس إذا استعلنت في مشارق الأرض ومغاربها ولهذا سماه الله سراجاً منيراً) أ.هـ. ثم بين بعد ذلك أن هذه الأماكن الثلاثة أقسم الله تعالى بها في القرآن في قوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، ثم بين أن ذكرها ذاك في التوراة جاء وفق الترتيب الزماني بينما في القرآن جاء وفق شرفها وأفضليتها فابتدأ بالأقل وانتهى بالأعلى والأشرف والأفضل.

وقال العلامة رحمة الله الهندي في (إظهار الحق) (٢/ ٢١٣) عن هذه البشارة: (ولا يصح أن يراد أن النار لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير ومن فاران أيضاً فانتشرت في هذه المواضع لأن الله لو خلق ناراً في موضع لا يقال جاء الله من ذلك الموضع إلا إذا اتبع تلك الواقعة وحي نزل في ذلك الموضع أو عقوبة أو ما أشبه ذلك. وقد اعترفوا أن الوحي اتبع تلك في طور سيناء فكذا لا بد أن يكون في ساعير وفاران)أ.هـ.

(٣) لم أجده في الموضع المشار إليه لكن يأتي.

(١) جاء في سفر التثنية (١٨/ ١٨-٢٠): (لهذا أقيم لهم نبياً من بين إخوتهم مثلك وأضع كلامي في فمه فيخاطبهم بكل ما آمره به فيكون أن كل من يعصي كلامي الذي يتكلم به باسمي فأنا أحاسبه) أ.هـ.

ووجه دلالة هذه البشارة على نبينا ﷺ من عدة أوجه غير ما ذكره المصنف رحمه الله هنا، وقد فصل ذلك الشيخ رحمة الله الهندي في (إظهار الحق) (٢/ ٢٠٣-٢٠٩)، ونحوها عند ابن المصنف في (الجواب الفسيح) (١/ ٧٥-٧٦).

لكن لعلماء النصارى اعتراضات على دلالة هذه البشارة على نبينا محمّد ﷺ ساقها في (إظهار الحق) (٢/ ٢٠٩-٢١١) وكذا في (الجواب الفسيح) (١/ ٧٦):

الاعتراض الأول: أنه جاء في نفس الموضع لكن قبله بثلاث فقرات (١٨/ ١٥): (فإن الرب إلهك يقيم =

من بينك من بين إخوتك...) هكذا في النسخة التي نقل عنها رحمة الله الهندي ونعمان الآلوسي كما في كتابيهما هناك، وجاء في النسخة المطبوعة سنة(١٩٧٦) الصادرة عن دار الكتاب المقدس ما نصه (١٨/ ١٥) :(يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من أخوتك مثلي له تسمعون) بزيادة لفظه(من وسطك) فكان(من بينك) ، لكن جاء في النسخة المطبوعة سنة(١٩٩٤) ما نصه(١٨/ ١٥) :(سيقيم الرب فيكم نبياً مثلي من بني اسرائيل له تسمعون) باستبدال كل الألفاظ السابقة بلفظة(بني اسرائيل) وهذا هو الذي يريدون الوصول إليه من كون هذه البشارة خاصة بني من بني اسرائيل لا من بني اسماعيل، لكنهم سلكوا للوصول إلى هدفهم هذا ما هو واضح من التحريف في كلام الله تعالى، فإننا حتى لو تجاوزنا النهي القديم عند رحمة الله الهندي وغيره فها نحن نرى الزيادة والتحريف واضحين بين طبعتي(١٩٧٦) و(١٩٩٤) ، ولا يمكن أن يكون ذلك بسبب اختلاف الترجمتين لأن لفظة(بني اسرائيل) لو كانت في الأصل لما صح لها أن تترجم إلا بلفظها الصريح هذا، فضلاً عن أن اعتراض علماء النصارى الذي ساقه رحمة الله الهندي والآلوسي في كتابيهما ففسروا به لفظة(من بينك) بأنه من بني إسرائيل ولو كانت هذه اللفظة ثابتة في الأصل لما احتاجوا إلى مثل هذا التفسير البعيد كما سيأتي بيانه، والظاهر أنهم لما اطلعوا على إلزام علماء المسلمين لهم مثل ما في(إظهار الحق) -الذي كانت طبعته الأولى سنة(١٩٨٨) - تداركوا أنفسهم فأضافوا وغيروا فيه في الطبعة المتأخرة(١٩٩٤) ، والله أعلم.
لكن الصواب أن اللفظة الأولى(من وسطك) هي من التحريف أيضاً لعدم ثبوتها في المصادر القديمة، فكان التحريف على مرحلتين:
الأولى: ادخلوا لفظة(من وسطك) إلى النص كما في نسخة(١٩٧٦) .
الثانية: حذفوا لفظة(من اخوتك) ، واستبدلوا(من وسطك) بلفظة(من بني اسرائيل) كما في نسخة (١٩٩٤) .

وهذا كله خاص بما جاء في الموضع الأول(١٨/ ١٥) من سفر التثنية، أما ما جاء بعده(١٨/ ١٨-٢٠) فهو كما قدمناه وثابت فيه(من بين إخوتهم) ، وهذا ما يمنع صحة لفظة(بني اسرائيل) في الأولى، لأنها دالة على أن النبي منهم، وهذه الثانية(من بين إخوتهم) دالة على أنه من غيرهم، لذلك قال ابن القيم رحمه الله في(هداية الحيارى) (ص٥٢) :(ولا يعقل في لغة أمة من الأمم أن بني اسرائيل هم أخوة بني اسرائيل) أ.هـ. هذا وجه في بطلان لفظة(من بني اسرائيل) ، ووجه آخر وهو ما جاء في نفس سفر التثنية (٣٤/ ١٠) :(ولم يظهر بعدُ نبي في بني اسرائيل مثل موسى) أ.هـ. ولا يمكن أن يكون هذا النص متوجهاً إلى الفقرة التي أعقبت موت موسى عليه السلام لأنهم يزعمون أن هذا السفر من تدوين موسى كما جاء في مقدمته:(يعرض هذا الكتاب إلى مجموعة من الخطب التي ألقاها موسى بوحي من الروح الإلهي) ، فلا يمكن في حكمة الله تعالى أن يوحي إليه بذلك ليشرفه وهو سبحانه يعلم أنه سيظهر بعده من هو مثله بل أفضل منه كما يقولون في المسيح عليه السلام فأي خاصية تكون لموسى عليه السلام إذا كان الأمر كذلك؟! خصوصاً وأن هذا النص الأخير يمدح موسى بذلك ويخصه بمزيد شرف وفضل على غيره من =

وفي كتاب رؤيا يوحنا الإنجيلي في أثناء الفصل التاسع عشر: (ومن بعد ذلك رأيت السماء مفتوحة. فها بفرس أبيض والراكب عليه يسمى الأمير الصادق ويدين بالحق ويحارب وكانت عيناه كلهيب النار) إلى أن قال: (وكانت تخرج من فمه سيف ذات قمين قاطعة وهو يضرب بهما الأمم ويرعاهم بعصا من حديد وهو الذي درس معصرة خمر رجز الله وغضبه) إلى آخر ما قال[1]. وفيه من صفات نبينا عليه الصلاة

الأنبياء، فكيف يأتي بعده من هو أفضل منه، بل من يكون الباقون عبيداً له؟ قال ابن القيم في (هداية الحيارى) (ص٥٢): (وبنو اسرائيل واخوتهم كلهم عبيد ليس فيهم إله، والمسيح عندهم إله معبود وهو أجلّ عندهم من أن يكون من أخوة العبيد. والبشارة وقعت بعبد مخلوق يقيمه الله من جملة عبيده وإخوتهم. وغايته أن يكون نبياً لا غاية له فوقها، وهذا ليس هو المسيح عند النصارى) أ.هـ.

وقبل الانتقال إلى الاعتراض الثاني نقول: إن لفظة (من وسطك) التي وردت في نسخة سنة (١٩٧٦) حتى لو سلمنا بأنها ليست من المحرف وأنها بمعنى (من بينك) الواردة في النسخة الأولى السابقة فلا يدل ذلك على أن هذا النبي المبشر به من بني اسرائيل كما بينه الشيخ رحمة الله الهندي في (إظهار الحق) (٢/٢٠٩-٢١٠) فقال: (إن اللفظ المذكور لا ينافي مقصودنا لأن محمداً عليه السلام لما هاجر إلى المدينة وبها تكامل أمره وقد كان حول المدينة بلاد اليهود كخيبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم، فقد قام من بينهم، ولأنه إذا كان من إخوتهم فقد قام من بينهم) أ.هـ. ثم بين أنه لا يبعد أن تكون حتى هذه اللفظة من الزيادة المحرفة.

الاعتراض الثاني: أن عيسى عليه السلام نسب بشارة موسى عليه السلام إلى نفسه، والجواب أن ما قاله عيسى عليه السلام ليس فيه التصريح بأن البشارة في الموضع الفلاني كانت في حقه، ونحن نسلم أن موسى قد بشر به ومن ثم يصدق قوله الأول الذي اعترضوا به على أي موضع وردت البشارة به وليس هذا الموضع خصوصاً لما تقدم في جواب الاعتراض الأول ما يمنع حمل هذه البشارة على المسيح عليه السلام.

الاعتراض الثالث: إن لم يكن المبشر به من بني أسرائيل فما الموجب لتخصيصه في بني اسماعيل لأن أخوة بني إسرائيل لا تنحصر فيهم بل بني عيسى وأيضاً وبني أبناء قطورا زوجة إبراهيم عليه السلام من إخوتهم أيضاً، والجواب كما في (إظهار الحق) (٢/٢٠٩) أن هؤلاء لم يظهر أحد منهم يكون موصوفاً بالأمور المذكورة ولم يكن وعد الله في حقهم بخلاف بني اسماعيل، فإنهم كان وعد الله في حقهم لإبراهيم ولهاجر عليهما السلام.

فمن كل ما تقدم يتضح لمن نظر بعين الإنصاف أن البشارة هنا خاصة بنبينا ﷺ..

(١) جاء في كتاب الرؤيا (١٩/ ١١-١٧ طبعة ٩٤): (ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا حصان أبيض يسمى راكبه الأمين الصادق الذي يقضي ويحارب بالعدل عيناه كلهيب نار وعلى رأسه أكاليل كثيرة وقد كتب =

والسلام ما إنكاره مكابرة. وفي كتاب إشعيا وإرميا والزبور شيء كثير مما يدل على المقصود، وكذا في الأناجيل الأربعة. وفيها أيضاً ما يمنع حمل الفارقليت على غير نبينا عليه الصلاة والسلام، وهي لفظة بأي معنى فُسرت صادقة عليه، عليه الصلاة والسلام[1].

على جبهته اسم لا يعرفه أحد إلا هو وكان يرتدي ثوباً مغمساً بالدم أما اسمه فهو كلمة الله وكان الأجناد الذين في السماء يتبعونه راكبين خيولاً بيضاء ولابسين كتاناً نقياً ناصع البياض وكان يخرج من فمه سيف حادّ ليضرب به الأمم ويحكمهم بعصا من حديد ويدوسهم في معصرة سَوْرَة غضب الله القدير على كل شيء وقد كتب على ثوبه وعلى فخذه ملك الملوك ورب الأرباب) أ.هـ. وهذه البشارة قطعاً لا تستقيم في حق المسيح عليه السلام لأنه يقول كما في إنجيل متّى (٥/ ٩): (طوبى لصانعي السلام فإنهم سيدعون أبناء الله). وقد جاء في هذه البشارة (الأمين الصادق)، ولقب نبينا ﷺ (الصادق الأمين)، فضلاً عن أن الوصف الذي جاء فيها باتباع جنود السماء له راكبين خيولاً بيضاء يشبه تماماً ما حصل للمسلمين في بدر من مقاتلة الملائكة معهم على خيول بيضاء، والله أعلم.

(١) لفظ (الفارقليت) أو (الفارقليط) جاء في إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر (١٦-١٩)، والإصحاح الخامس عشر (٢٦-٢٧)، والإصحاح السادس عشر (٧-١٤). وقد اختلف في أصل هذا اللفظ والصواب أنه يوناني نُقل من الأصل العبراني الذي تكلم به المسيح عليه السلام فترجم هذا اللفظ من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل ذاك كما حقق ذلك الشيخ رحمة الله الهندي في (إظهار الحق) (٢/ ٢٣٧-٢٣٩) وبين أيضاً أن اللفظ العبراني الذي قاله المسيح عليه السلام مفقود، وهو ما يفهم أيضاً من كلام شيخ الإسلام في (الجواب الصحيح) (٤/ ٨-٩).

فإذا اتضح أن أصل اللفظ يوناني وأنه بالتعريب صار هكذا فلا بد من إرجاعه إلى أصله اليوناني حتى يُعلم معناه، وهذا ما بينه رحمة الله الهندي بأنه لا يمثل إلا أحد وجهين:

الأول: (بيراكلوطوس) وهو قريب من معنى محمّد وأحمد، وتكون البشارة في حقه ﷺ واضحة. والثاني: (باراكلي طوس) وهو بمعنى المعزّي والمعين. وفي طبعته سنة (١٩٧٦) الصادرة من دار الكتاب المقدس اعتمدوا لفظ (المعزّي)، لكن في طبعة سنة (١٩٩٤) اعتمدوا لفظ (المعين)، كل ذلك إمعاناً في تشويه هذه البشارة بنبينا ﷺ، لكن الأمر كما قال المصنف رحمه الله فإن هذه اللفظة بأي معنى فسرت فهي صادقة عليه ﷺ، ولولا خشية الإطالة لسردنا الأوجه الدالة على ذلك مع ردّ شبهاتهم التي يوردونها لتعطيل هذه البشارة، لكن نكتفي بالإحالة إلى ما فصله الشيخ رحمة الله الهندي في (إظهار الحق) (٢/ ٢٤٠-٢٤٩) فقد برهن هناك على كل الأوجه عدم إمكان صدق هذه البشارة إلا على محمّد ﷺ، وقبله كلام شيخ الإسلام في (الجواب الصحيح) (٤/ ٩-١٩) من عدة أوجه، حتى انتهى إلى قوله: (وبالجملة فمعلوم باتفاق أهل الأرض والاضطرار أنه لم يأتِ بعد المسيح من ساد العالم باطناً وظاهراً =

والكلام في هذا المقام كثير، ولو ذكرنا جميع ذلك لطال وأدرت الملال، ويكفي من القلادة ما أحاط بالجِيد. ومن علم أن القرآن العظيم معجزة لا يحتاج إلى غيره[1]. ومن لم يتيقن بالقرآن فليس منا.

وبالجملة لولا أمر الصداقة ما كنت أكتب في هذا الباب شيئاً فإنه بحث مفروغ منه، وقد تبين الرشد والغي، والمرجو[2] من صديقي إذا أراد الخوض في المباحث العلمية أن يخوض في أبحاث غير هذه الأبحاث، والعلم كثير ومهيعه واسع جداً.

ودمتم كما رمتم[3].



يطيعهم أهل الدين طاعة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة ويخافون عقاب الله في الدار الآخرة بخلاف الأنبياء. [و] محمّد أظهر دين الرسل قبله وصدقهم ونوّه بذكرهم وتعظيمهم، فبه آمن بالأنبياء والرسل مثل موسى والمسيح وغيرهما أمم عظيمة، لولا محمّد لم يؤمنوا بهم. ومن كان يعرف هؤلاء من أهل الكتاب كانوا مختلفين فيه كاختلاف أهل الكتاب في المسيح، وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما بما هو معروف عندهم. وأيضاً فإنه ذكر لهم من الرسل ما لم يكونوا يعرفونه مثل هود وصالح وشعيب وغيرهم) أ.هـ.

(١) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١].

(٢) كتب في هامش الأصل: نسخة: والمأمول.

(٣) وهذا آخر ما يسره الله تعالى من التعليق على هذه الرسالة، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.